٤٩٧

وبلغه ان الشريف ابا نمي عزم على زيارتي فلم يزل يتوصل اليه حتى ترك زيارتي
خوفا ان يميل عنه الي لكثرة نصبي وحيلي فضحكت من ذلك فان من قواعد
طريقتنا اني لا امكن احدا من الاكابر ان ياتي الي وان علمت عزمه على زيارتي
ذهبت اليه فالحمد لله رب العالمين اخذ الشيخ شمس الدين العلم عن جماعات
من علما مصر كالشيخ ناصر الدين اللقاني والشيخ جمال الدين الصاني والشيخ
ناصر الدين الطبلاوي والشيخ شهاب الدين الرملي وتبحر على يديهم في العلوم
واجازوه بالافتا والتدريس فدرس وافتى في حياة اشياخه وانتفع به
خلايق لا يحصون واجمع اهل مصر على جلالته وصلاحه ووصفوه بالعلم
والعمل والزهد والورع وكثرة النسك والعبادة وشرح كتاب منهاج الفقه
وكتاب التنبيه شرحين عظيمين جمع فيهما تحريرات اشياخه بعد الشيخ
زكريا واقبل الخلايق على كتابتهما وقراتهما عليه وما رايته قط يسعى على شي
من امور الدنيا ولا على شي فيه رياسة ولا يزاحم على صحبة احد من الولاة
والقضاة بل ربما لم يعرف احدا منهم وتفضل علي بزيارتي ما لا احصي له
عددا وعجزت عن مكافاته وعلمت ان الله تعالى اراد ان يكون له الفضل
علي وما رايت اخف زيارة منه ولا اكثر ادبا وما دق على الباب قط
بل يقف ساعة فان لم يفتح له احد الباب قرا الفاتحة ورجع منشرحا غير
متاثر من ذلك وقل ان يقع مثل ذلك من غالب طلبة العلم بل بعضهم يدق
على الباب فان لم يجبه احد سب ولا خلي ولا بقي وحملني على اسوء المحامل
وربما دخل علي هجما يرى له الفضل علي فما يخرج من عندي حتى كانني شربت
رطلا من السم وقد باسطت الشيخ شمس الدين يوما وقلت له كيف تجي لمثلي
ولا يفتح لك ولا تتكدر فقال قد قال الله تعالى وان قيل لكم ارجعوا
فارجعوا هو ازكى لكم فشي قال الله تعالى هو ازكى لي واطهر كيف اتغير
من حصوله لي فقلت له جزاك الله تعالى عن اخوانك خيرا وبالجملة فاوصافه

الحسنة

الحسنة تجل عن تصنيفي فاسال الله تعالى ان يزيده من فضله ويحشرنا في
زمرته مع العلما العاملين امين امين ومنهم الشيخ الامام العالم الصالح
الورع الزاهد ابو البقا ابن جيلات القاضي بجامع الصالح رضي الله عنه
صحبته نحو خمسين سنة فما رايته زاغ عن الشريعة المحمدية بل نشا في عبادة
وعفة وورع وزهد وتلاوة قران وعلم اخذ العلم عن جماعة من مشايخ
الاسلام كالشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن ابي شريف والشيخ جمال
الدين الطويل والشيخ سعد الدين الذهبي والشيخ عبد الحق السنباطي
واجازوه بالافتا والتدريس وتولى القضا باشارة بعض الاوليا فكلما
يعزل نفسه يعيده الولاة الى القضا فسلم الامر لله تعالى واجمع الناس على
انه ليس في مصر مثله الان ولا مثل ابن محب المالكي في الدين والورع
وقدموه على جميع اقرانه وقالوا ان القضا يتعين طلبه على مثلك لما علموا
من شدة دينه وعدم قبوله الرشوة من احد لا سرا ولا جهرا هذا مع
ضبط جوارحه عن المخالفات وكثرة تلاوة القران نهارا في المصحف وليلا
في التهجد وما ضبطوا عليه قط انه حسد احدا ولا ذكره بسوء ولا زاحم
على شي من وظايف الدنيا واخبرني من خالطه في الليل انه لم ينم من
الليل الا قليلا ثم يقوم للتهجد في دهليز داره واخبرني المقدم احمد
الكافوري قال ما مررنا قط مع الوالي في الليل الا وجدنا الشيخ ابا البقا
يتلو القران خلف باب داره ومما وقع بعد ذلك انني لم ازل ارى الشيخ
ساكنا في قبة عظيمة في وسط تربة واسعة يهول ذلك بحياته وموت
جيرانه لقيامه بالليل وكثرة نومهم واخبرني الشيخ شهاب الدين
ابن الملطة صهره انهم ما ضبطوا عليه انه نام عند عيا له قط في الليل سوى
لحظة واحدة ولما حججت سنة ثلاث وخمسين وتسعماية قال لي اخي سيدي
محمد الحنفي الشاذلي مرادنا ان نجتمع باحد من الاوليا بمكة فقلت له ان هذه

Copyright © King Saud University